© ٢٠١٥ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (٧-أ)، أبريل ٢٠١٥م، ص٢١٣-٢٢٨

من صفات القائد الناجح في سورة الفتح*

د. عبد الماجد بن محمد ولي[١]

ملخص

رامت هذه الدِّراسة استكشاف الصِّفات القيادية في النَّبي (ﷺ) كما صوَّرتها سورة الفتح. عليه، فقد اتَّبعت هذه الدراسة منهجًا استقرائيًّا تحليليًّا لهذه السُّورة مستخلصة الصفات القياديَّة التي انطوت عليها هذه السُّورة، مثل: صفة التوحيد والطاعة، وصفة الحلم، والعفو والسَّماحة، وصفة ضبط النَّفس وحسن اتِّخاذ القرار في الوقت المناسب... وتلك صفاتٌ فذَّة اتَّصف بها صاحب النبوة، واقتدى به فيها صحابته الكرام، وكانت لتلك الصِّفات مكاسب دعويَّة جليَّة ومباشرة كشفت عنها هذه الدراسة في مواقف من سيرته العطرة (ﷺ). هذا، وإنَّ دراسة الصِّفات القياديَّة لَموضوعٌ مهمٌّ في الدراسات القرآنيَّة؛ لعلاقتها المباشرة بحياة الأمَّة الإسلاميَّة الرَّاهنة ومصيرها، وفي تكوين القادة الأكفاء، ومن المفيد أن تتوَّج الدِّارسة الحاليَّة بدراساتٍ موسَّعة للصِّفات القياديَّة في القرآن الكريم وفي السُّنة النَّبويَّة.[٢]

كلمات دالَّة: الصفات القيادية، سورة الفتح، القائد المثالي، القدوة الحسنة.

---

[١] د. عبد الماجد، أستاذ الدراسات القرآنية المساعد بكلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية، aaaaaaboblal@gmail.com

(٢) هذا البحث بدعم من مركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـــه، ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أفضـــل ما يشـــتغل به المشـــتغلون، ويتســـابق فيه المتســـابقون، وتصـــرف فيه الأوقات والســـنون، مدارســـة كتاب الله العظيم؛ إذ هو المعجزة الباهرة، والحجة القاهرة، وآية محمد (ﷺ) الظاهرة، استودع الله فيه من العلوم والأسرار ما استودع، فَنَهَلَ منه العلماء في كل عَصرٍ ومِصرٍ ما نهلوا ...، وبقي معيناً لا يعرف النضوب، ونوراً يهدي الله عز وجل به القلوب. وإن المهارات القيادية لمما يحتاج إليه الناس لتستقيم أمورهم، فإذا أردنا أن نفهم الجانب القيادي للشخصية؛ فلا بد أن ندرس الشخصية التاريخية العالمية الأبرز في هذا المجال وهي شخصية نبينا محمد (ﷺ).

عليه، فإنَّ هذا البحث قد جاء لتجلية ما احتوت عليه سورة الفتح من الصفات والمهارات القيادية لنبينا الكريم محمد (ﷺ)، ومن أبرز الصفات القيادية النبوية التي أشارت إليها سورة الفتح مع قصتها من السنة النبوية صفات أربع. كما يأتي بيانها في مباحث هذا البحث.

هـذا، ولا يخفى كون النَّبي (ﷺ) هو المثل الأعلى والعملي والنموذجي للقيادة الكاملة، والتي تجسـدت فيها الريادة والتوجيه، وإرشـاد البشـرية إلى طريق الخير حتى قيام السـاعة، هذه القيادة صـالحة لكل الأزمان والأحوال، ويلزم كل من جاء بعده (ﷺ) أن يتبعه في منهجه القيادي.

ولقد ورّث الرسول (ﷺ) صحبه الكرام صفات هذه القيادة؛ ليستمر الطريق من بعده، وعلى منهجه القيادي، الذين اتبعوه اتباعاً مخلصاً صادقاً؛ وكان نجاحهم قائماً على أساس كونهم أتباع صدق لمحمد (ﷺ)، وقادة تخرجوا من مدرسة النبوة. ولقد أعطى القرآن الكريم حكماً واضحاً صريحاً في أن النموذج الحسن الواجب الاتباع ينحصر في شخص سيدنا محمد (ﷺ) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)،

ولذلك فإن المجتمع المسلم لا يستطيع أن يرتقي إلى مرتبة القيادة دون اتباع كامل للنبيّ محمد (ﷺ) وأجلى ما يظهر ذلك في سورة الفتح التي حكت عن قصة الحديبية وفتح مكة وكان النبيّ (ﷺ) هو القائد فيها.

فالقيادة في المجتمع المسلم لابد فيها من صفات وملامح محددة كي تقود وتسود[١]، وهذه الصفات تكاد تكون شروطاً لنجاح القيادة عامة وللقائد المسلم خاصة.

المبحث الأول: صفة التوحيد والطاعة

بينت سورة الفتح أن نبينا محمداً (ﷺ) كان خاضعا لربه طائعاً موحداً له سبحانه، وهكذا ينبغي على كل قائد يريد أن يحقق ما حققه النبي (ﷺ) في فتح مكة وفي غيرها أن يتبعه في هذا.

ومما أشارت إليه سورة الفتح مما يبين درجة طاعة النبي لربه ما ذكره ابن كثير[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)؛ حيث قال: «هذا من خصائصه –صلوات الله وسلامه عليه– التي لا يشاركه فيها غيره، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله (ﷺ)، وهو –صلوات الله وسلامه عليه– في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة. ولما كان أطوع خلق الله لله، وأكثرهم تعظيما لأوامره ونواهيه؛ قال حين بركت به الناقة: ''حبسها حابس الفيل'' ثم قال: ''والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم شيئا يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها''[٣]، فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح، قال الله له: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ

---

١ جمعة أمين. **التغيير على منهاج النبوة**. ٤٢٢-١٢٣ بتصرف.

٢ الحافظ الإمام المؤرخ المفسر أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، من مؤلفاته: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، توفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة للهجرة الموافق ١٣٧٢م. تذكرة الحفاظ وذيوله (٥/٥٧-٥٨) الأعلام للزركلي (١/٣٢٠).

٣جزء من حديث المسور بن مخرمة ومروان في قصة الحديبية، أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد حديث (٢٧٣١-٢٧٣٢) (٢/٢٧٩).

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح:١-٢)، أي: بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم، ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أي: بسبب خضوعك لأمر الله يرفعك الله وينصرك على أعدائك، كما جاء في الحديث الصحيح: "وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[١]، وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: ما عاقبتَ أحدا عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله فيه»[٢].

ونلمس تمسك النبيّ (ﷺ) بطاعة ربه وتوحيده في وصف الله له ولأصحابه بأنهم الذين ألزمهم كلمة التقوى إذ يقول تعالى في سورة الفتح: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ الآية، (الفتح:٢٦)، قال المفسرون هي قول: "لا إله إلا الله". وقال مجاهد[٣]: (كلمة التَّقوى): الإخلاص، وقال عطاء بن أبي رباح: [٤] هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وقال سعيد بن جبير[٥]: في تفسير "كلمة التَّقوى" أنها: لا إله إلا الله والجهاد في سبيله، و"أحقَّ بها وأهلَها"، كان المسلمون أحق بها، وكانوا أهلها. [٦]

«وقد كان الجو الذي نزلت فيه سورة الفتح هو جو الطمأنينة التي كان سببها الطاعة والتمسك بالوحي الإلهي من النبي (ﷺ)، الجو الذي اطمأنت فيه نفس الرسول – (ﷺ) – إلى إلهام ربه، فتجرد من كل إرادة إلا ما يوحيه هذا الإلهام العلوي الصادق؛

---

١ حديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (١٤١/١٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم ٢٢٠٠، (٢٥٩/٧).

٢ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ٨٨/١٣-٨٩.

٣مجاهد بن جبر: مولى عبد الله بن السائب، القارئ كنيته أبو الحجاج من أهل مكة، يروى عن جماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وكان فقيها عابدا ورعا متقنا، مات بمكة وهو ساجد سنة ثنتين أو ثلاث ومائة، الثقات لابن حبان (٤١٩/٥).

٤ عطاء بن أبي رباح، كنيته أبو محمد، نشأ بمكة، وكان من سادات التابعين فقها وعلما وورعا وفضلا، لم يكن له فراش إلا المسجد الحرام إلى أن مات سنة أربع عشرة ومائة. الثقات لابن حبان (١٩٨/٥-١٩٩).

٥ سعيد بن جبير بن هشام، يروى عن ابن عمر وابن عباس وجماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ)، كنيته أبو عبد الله وكان فقيها عابدا ورعا فاضلا، قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين. الثقات (٢٧٥/٤).

٦ الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تفسير الطبري). ٣١٠/٢١-٣١٥.

ومضى يستلهم هذا الإيحاء في كل خطوة وفي كل حركة، لا يستفزه عنه مستفز، سواء من المشركين أو من أصحابه الذين لم تطمئن نفوسهم في أول الأمر لقبول استفزاز المشركين وحميتهم الجاهلية، ثم أنزل الله السكينة في قلوبهم، ففاءوا إلى الرضى واليقين والقبول الخالص العميق...». [1]

المبحث الثاني: صفة الحلم

هناك الكثير من المواقف التي يمر بها القائد تجعله يفقد السيطرة على نفسه فيفتح مجالاً للفتن والخصومات؛ لذلك فإن ضبط الإنسان لنفسه وتحكمه في أعصابه يمكنه من التغلب على كثير من المشاكل التي يواجهها في حياته فيكسب بذلك مرضاة الله لأن الحلم والأناة صفتان يحبهما الله، ومن ثم يكسب محبة المحيطين به قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمرا: ١٣٤).

وقد كان المصطفى (ﷺ) حليماً مع أصحابه وأعدائه، ومن أمثلة حلم القائد ما أشارت إليه سورة الفتح فيما ذكره المفسرون لهذه السورة[2] من حلمه (ﷺ) في صلح الحديبية؛ وخاصة عندما كتب عقد الصلح مع ممثل قريش حيث دعا رسول الله (ﷺ)؛ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ليكتب وثيقة الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو[3]، فقال: ''اكتب بسم الله الرحمن الرحيم'' قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله (ﷺ): ''اكتب باسمك اللهم'' فكتبها، ثم قال: ''اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله

---

١ ينظر في الكلام على هذه الصفة: صناعة القائد ص (١٧٩-١٨١)، تنمية وتفعيل الشخصية القيادية في السنة والسيرة النبوية ص (١٢-١٣) ضمن بحوث مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة.

٢ الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ٢١/٢٨٨-٢٨٩؛ وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ١٣/١٠٩؛ وقطب، سيد. **في ظلال القرآن**. ٣٣١١.

٣ سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي، أبو يزيد، وهو من قريش، خرج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى حنين وهو مشرك، وأسلم بالجعرانة، ثم حسن إسلامه وخرج إلى الشام في خلافة عمر غازيا، ومات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. الثقات (٣/١٧١).

سهيل بن عمرو'' قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك؛ ولكن أكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال رسول الله (ﷺ): ''اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو''، فاصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليه ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.[1]

ويزداد حلم النبيّ محمد (ﷺ) وضوحا في هذا الحدث إذا علمنا أن عمر بن الخطاب راجعه في ذلك وراجع أبا بكر الصدّيق أيضا، فلم يرجع (ﷺ) عما مضى فيه مع سهيل بن عمرو، فإنه حين التأم الأمر، ولم يبق إلا الكتاب بين النبي (ﷺ) والمشركين، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: "بلى"، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: ''بلى''، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: ''بلى'' قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: ''بلى'' قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: ''أنا عبدُ الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني'' قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حين رجوت أن يكون خيراً[2].

وهذا ما أشارت إليه سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، (الفتح:٢٦). إذ يخبر تعالى

١أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد حديث (٢٧٣١-٢٧٣٢)، والحاكم (٢/٤٦٠-٤٦١).

٢ الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ٢١/٣٠١؛ وهو عند البخاري وفي آخره قوله ((فعملت لذلك أعمالا)) حديث (٢٧٣١-٢٧٣٢)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

أن المشركين صدوا المسلمين عن البيت ومنعوهم من العمرة عام الحديبية متبعين في ذلك حمية الجاهلية، وأبوا أن يتواضعوا للنبيّ (ﷺ) ويرضوا بما أملاه عليهم في العقد الذي عقده معهم، وذلك حين أبوا أن يكتبوا ''بسم الله الرحمن الرحيم''، وأبوا أن يكتبوا: ''هذا ما قاضى عليه محمد رسول''، فحلم عليهم النبي (ﷺ) ورضي ببعض شروطهم[١].

ومن مواقف حلم النبيّ (ﷺ) التي أشارت إليها السورة ما أورده المفسرون في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، (الفتح:٢٤)؛ حيث ذكروا[٢] «أنه لما اجتمع النبيّ (ﷺ) بسهيل بن عمرو ومن معه وعقد معهم وثيقة الصلح وبينما هم يكتبون الوثيقة إذ خرج عليهم ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوههم، فدعا عليهم رسول الله (ﷺ)، فأخذ الله بأسماعهم، فقام إليهم الصحابة فأخذوهم، فقال رسول الله (ﷺ): "هل جئتم في عهد أحد؟ أو: هل جعل لكم أحد أماناً؟''، فقالوا: لا. فخلى سبيلهم، فأنزل الله هذه الآية.[٣]

ومن مواقف حلمه (ﷺ) في الفتح ما ذكره ابن هشام[٤] في كتاب السيرة، أنه (ﷺ) كان يطوف بالكعبة يوم فتح مكة، وكان فضالة بن عمير بن الملوح قد فكر في قتله (ﷺ) وهو يطوف، فلما دنا من الرسول (ﷺ) قال له: ''أفضالة''؟ قال: ''نعم فضالة يا رسول الله'' قال: ''ماذا كنت تحدث به نفسك''؟، قال: ''لا شيء؛ كنت أذكر الله''، فضحك الرسول (ﷺ)

---

١ كما أشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (١١٢/١٣).

٢ الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ٢٨٨/٢١؛ وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ٩٨/١٣، ١٠٨- ١١٠.

٣ رواه مسلم (١٨٠٨)، والنسائي في الكبرى (١١٤٤٧)، والحاكم (٤٦٠/٢-٤٦١)، وأبو داوود (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٢٦٤)، والبيهقي في الدلائل (١٤١/٤).

٤ أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، من مصر وأصله من البصرة، جمع سيرة الرسول (ﷺ) من "المغازي والسير" لابن إسحاق وهذبها ولخصها، وله كتب أخرى غيره، توفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين. وفيات الأعيان لابن خلكان، برقم ٣٨٠، (١٧٧/٣).

ثم قال: ''أستغفر الله'' ثم وضع يده على صدر فضالة فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما وضع يده عن صدري حتى ما من خلق الله من شيء أحب إليّ منه[١].

وتتجلى صفة الحلم في النبيّ محمد (ﷺ) عندما يكون مع ألد أعدائه، كأبي سفيان وذلك أن العباس رضي الله عنه عمّ رسول الله (ﷺ) خرج من عند الرسول (ﷺ) قبل يوم الفتح يلتمس أحدا من قريش ليخبر قريشاً بأن رسول الله خرج إليهم وذلك ليخرجوا إليه فيستأمنونه، فوجد أبا سفيان[٢] وبديل[٣] فأخبرهما، فقال أبو سفيان فما الحيلة؟ فقال له: والله لئن ظفر بك رسول الله (ﷺ) ليضربن عنقك فاركب حتى آتي بك رسول الله (ﷺ) فأستأمنه لك، فدخل العباس وأبو سفيان على رسول الله (ﷺ) وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر: يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله إني قد أجرته، فقال (ﷺ): ''اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به''، فذهبت فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله (ﷺ) فلما رآه قال: ''ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله''[٤] قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك؟ أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم، فاشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن تضرب عنقك، فأسلم[٥].

---

١ ابن هشام. **السيرة النبوية**. ٥٩/٤.

٢ أبو سفيان، صَخْر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف الأموي. ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين، و مُعَاوية أمير المؤمنين ابنه، تزوج رسول الله (ﷺ) ابنته أم حبيبة بينما كانت مهاجرة في الحبشة، بعد أن مات عنها زوجها؛ وأبو سفيان مازال على الشرك، ثم أسلم يوم فتح مكة، مات أبو سفيان في المدينة سنة (٣٢/٣١هـ) (الإصابة لابن حجر (٢٣٧/٣-٢٣٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠٥/٢).

٣ بديل بن ورقاء الخزاعي، له صحبة، سكن مكة، وكان سيد قومه، أسلم قبل فتح مكة، وقيل يوم الفتح بمر الظهران، شهد حنينا والطائف وتبوك، مات قبل النبي (ﷺ). أسد الغابة لابن الأثير(٢٠٣/١).

٤ حديث صحيح: أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (٥٢٢-٥٢٥)، والحاكم (٤٣/٣-٤٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في الصحيحة بعد تخريجه للحديث وهو برقم ٣٣٤١ (١٠٢٣/٧-١٠٣٠): "وبالجملة فالحديث صحيح بطرقه وشواهده، وهو أصح وأتمّ ما وقفت عليه مسندا في قصة فتح مكة حرسها الله". اهـ

٥ ابن هشام. **السيرة النبوية**. ٤٣/٤-٤٤.

إن المتأمل فيما أشارت إليه سورة الفتح وقصته مما أورده أهل التفسير يجد أن المصطفى (ﷺ) تحلى بالحلم مع المسلمين، ومع أعدائه، وفي جميع ذلك لم يتجاوز حد الحلم في القول والعمل.[١]

فكان مبدأ الحلم هو أحد المبادئ التي تعامل بها الرسول (ﷺ) واتصف به كقائد، فكسب الكثير من القلوب فأحاطت به، ولم تكن ترضى أن يصاب بمصيبة أو مكروه، وبهذا المبدأ استطاع أن يكون قائدا مثاليا يحتذى به، ويُتَرَسّمُ هديه (ﷺ).

المبحث الثالث: صفة العفو والسماحة

بالعفو يكسب القائد محبة جميع الأفراد وثقتهم، وبالعفو ينبذ القائد الخلافات الشخصية مقابل المصلحة العامة، وقد حرص الرسول (ﷺ) على تطبيق هذا المبدأ مع أصحابه وأعدائه على السواء، وضرب للمسلمين مثلا أعلى فقد تجاوز عن المسيء ولو كان من أعدائه في مواقف؛ ومنها ما كان من عفو رسول الله (ﷺ) على قريش يوم فتح مكة، حيث وقف على باب الكعبة وخطب في الناس ثم قال لقريش: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم"، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٢]، فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله منهم[٣].

ولقد كان لهذا العفو والسماحة من القائد المثالي عليه الصلاة والسلام آثار استراتيجية بعيدة المدى منها:

---

١ ينظر في الكلام على هذه الصفة: رسالة العلاقات الإنسانية في السيرة النبوية وتطبيقاتها في الإدارة المدرسية ص (٥٣-٥٧)، وأيضاً: تنمية وتفعيل الشخصية القيادية في السنة والسيرة النبوية ص (١٥)؛ ضمن بحوث مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة.

٢ ضعيف: رواه ابن إسحاق ص(٥٣١)، وقال الحافظ العراقي في تخريجه: "رواه ابن الجوزي في الوفا من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف"، وضعفه الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للغزالي ص(٢٩٤)، وفي كتابه دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص ٣٢ حيث قال: "هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت وهو عند ابن هشام معضل وقد ضعفه الحافظ العراقي".

٣ ابن هشام. **السيرة النبوية**. ٤/٥٥.

١-تحقيق المسلمين هدفهم الكبير وهو تأمين الدعوة، إذ أقبلت قريش على الإسلام بعد أن كانت ألدّ خصومه وأعدائه، وتوحدت شبه الجزيرة العربية على الإسلام.

٢-كسب جيش الإسلام قوة جديدة تمثلت في دفاع من أسلم من قريش على الإسلام بل كان منهم القادة الذين قادوا الحروب لنصرة الإسلام على مر التاريخ.

٣-امتدت آثار العفو والسماحة إلى عصر الفتوحات فسرعان ما رحبت شعوب الإسلام بالفاتحين وانضمت إليهم[١].

ومن الجدير بالذكر هنا أن رجال الاستراتيجية من أمثال ليدل هارت[٢] وغيره، قد اتفقوا على عدة مبادئ في إدارة الحرب تقترب من المبادئ التي قررها النبي (ﷺ) منذ أربعة عشر قرنا، فهم يقررون مثلا أن الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على سلم أفضل، ومن الضروري أن يضع القادة في اعتبارهم السلم الذي يرغبون فيه، وأن يهيئوا الظروف المناسبة لقيام سلم حقيقي[٣]، وهذا ما جسده النبي (ﷺ) واقعا عمليا في أحداث الحديبية والفتح.

بهذا، يتبين أن العفو من أهم الصفات والمبادئ التي يجب على القائد أن يتحلى بها ليكسب قلوب من عفا عنهم ويحقق المصالح العامة، من نصر الدين والتمكين له ونشره بين الناس[٤].

المبحث الرابع: صفة ضبط النفس، وحسن اتخاذ القرار في الوقت المناسب

تعلَّم المسلمون من نبيهم (ﷺ) في فتح مكة أن المقدرة على عمل تقرير سريع للموقف، والوصول إلى قرار سليم وحاسم؛ من القدرات والصفات التي ينبغي أن يمتلكها القائد المسلم؛ لأن القائد

---

١ محفوظ، محمد جمال. **سنة الرسول في القيادة وإدارة الحرب**. ص ٣١٨ بتصرف.

٢ كاتب وخبير عسكري بريطاني، من مؤلفاته: الاستراتيجية وتاريخها في العالم، ونظرة جديدة إلى الحرب. انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (٢٦٣/٨).

٣ محفوظ، محمد جمال. **سنة الرسول في القيادة وإدارة الحرب**. ٣١٩ بتصرف.

٤ ينظر في هذه الصفة: رسالة العلاقات الإنسانية في السيرة النبوية، وتطبيقاتها في الإدارة المدرسية ص (٦٩-٧١).

المتردد لا يتوقف ضرره عند حد الفشل في مواجهة الموقف وقبل أن يفوت الأوان؛ بل يمتد إلى أتباعه فيشيع فيهم التردد وفقد الثقة والضعف.

ومما ذكره المفسرون في هذا الموضوع في تفاسيرهم لسورة الفتح[١] مبايعة النبي (ﷺ) أصحابه حين سمع بأن عثمان بن عفان رضي الله عنه قتل؛ حيث قال رسول الله (ﷺ): "لا نبرح حتى نناجز القوم"[٢]، ودعا رسول الله (ﷺ) الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله (ﷺ) على الموت، وكان جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله (ﷺ) لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر[٣].

وأورد ابن جرير ما يؤيد هذه الصفة في نبينا (ﷺ) في أثناء أحداث وثيقة الصلح حين أراد رجل من كنانة أن يأتي النبيّ (ﷺ)، فقال لقريش: دعوني آته، فقالوا: ائته; فلما أشرف على النبيّ (ﷺ) وأصحابه، قال النبيّ (ﷺ): "هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له"[٤]، فبعثت له، واستقبله القوم يلبّون; فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت[٥].

---

١ الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ٢١/٢٧٣؛ وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ١٣/٩٤-٩٥.

٢ ضعيف: أخرجه ابن إسحاق في السيرة وعنه ابن هشام في سيرته (٣/٤٣٧)، و قال الألباني في تخريجه لفقه السيرة: "ضعيف، أخرجه ابن إسحاق وعنه ابن هشام عن عبدالله بن أبي بكر مرسلًا).. وأما خبر إرسال عثمان إلى قريش فهو حسن؛ كما قال علوي السقاف في تخريجه لأحاديث الظلال ص (٢٧٩)، برقم (٦٨٢).. وخبر بيعة الرضوان وقول جابر: (لم يبايعنا رسول الله على الموت ولكن بايعنا على ألا نفرّ) فرواه مسلم والترمذي والنسائي وهو صحيح؛ كما قال السقاف في تخريج أحاديث الظلال ص (٢٧٩)، برقم (٦٨٤).. ويتلخص أن الضعيف من الحديث هو أن يكون سبب بيعة الرضوان بلوغ خبر وفاة عثمان رضي الله عنه وقول: "لا نبرح حتى نناجز القوم} ودعوته عليه الصلاة والسلام للبيعة بعد ذلك، وهو ما سبق ذكر تخريجه.

٣ ابن هشام. **السيرة النبوية لابن هشام**. ٢/٣١٥-٣١٦؛ والبيهقي. **الدلائل**. ٤/١٣٥ من طريق محمد ابن اسحاق به.

٤ حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٣/١٩٥).

٥ الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ٢١/٢٩٩-٣٠٠.

وكان هذا من حسن اتخاذ القائد للقرار المناسب في المكان المناسب وهو ما يدل على ما اتصف به نبينا محمد (ﷺ) من صفات عظيمة خولت له أن يكون قائدا ناجحا استطاع أن يقود صحابته بكل دقة حتى فتح الله عليهم مكة بعد طول انتظار.

ومن الشواهد على ضبط القائد لنفسه من قصة الفتح ما كان من أمر أبي جندل[١] عندما جاء يرسف في الحديد فارا من المشركين يريد الالتحاق بالمسلمين فلما رآه سهيل جعل يجره يريد إرجاعه إلى قريش وأبو جندل يصيح بأعلى صوته: "يا معشر المسلمين أأُرَدّ إلى المشركين يفتنوني عن ديني" فليس من السهل احتمال المسلمين بقيادة نبيهم (ﷺ) حينذاك مثل هذا الموقف، ولكنهم احتملوا صابرين، وضبط الرسول (ﷺ) أعصابه أثناء المفاوضات وبعدها على الرغم من تذمّر بعض المسلمين، ليدل دلالة واضحة على الضبط المتين الذي كان يتمتع به صلوات الله وسلامه عليه، بشكل يدعو إلى الإعجاب الشديد، ويجعل هذا من الصفات الحميدة التي ينبغي على كل قائد يريد النجاح والظفر بالمطلوب أن يقتدي فيها بالنبيّ محمد (ﷺ)[٢].

ومن شواهد حسن اتخاذ القرار ما كان من النبي (ﷺ) من القرار العادل حين عزل سعد بن عبادة[٣] الذي أعلنها حربا على قريش وهو سائر إلى مكة في الفتح بقوله: "اليوم يوم الملحمة"، وذلك لأنه (ﷺ) انطلق من المدينة وهو لا يريد قتالا، وأوضح هذا لكل من معه، فلما رأى من سعد ما يخالف ذلك عزله من قيادة المجموعة التي أمّره عليها[٤].

ولقد أثبتت الأحداث صدق إلهام النبي (ﷺ) فيما فعل وأيّده القرآن الكريم، وأظهرت عظم الفوائد المادية والمعنوية والسياسية والحربية والدينية التي عادت على المسلمين منه، إذ قووا في

---

١ أبو جندل العاص بن سهيل بن عمرو العامري، كان من خيار الصحابة، أسلم بمكة فسجنه أبوه وقيده فلما كان يوم الحديبية هرب إلى النبي (ﷺ)، جاهد بالشام، ومات شهيدا في طاعون عمواس بالأردن سنة ثماني عشرة. الإصابة لابن حجر رقم ٢٠٢ (٣٣/٧).

٢ خطاب. محمود شيث. **الرسول القائد**. ص ١٨٨-١٨٩.

٣ سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري، سيد الخزرج أبو ثابت على الأصح، عقبي بدري أحدي شهد المشاهد كلها وكان سيدا جوادا مقدما وجيها له سيادة ورئاسة، مات في أول سنة عشر. إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (٢٣٨/٥-٢٣٩).

٤ السويدان، طارق، وفيصل عمر باشراحيل. **صناعة القائد**. ص ١٥٧.

عيون القبائل، وبادر المتخلفون من الأعراب إلى الاعتذار، وازداد صـــوت المنافقين في المدينة خفوتاً وشأنهم ضآلة، وصار العرب يفدون على النبيّ (ﷺ) من أنحاء قاصية، وتمكن من خَضْد شـوكة اليهود في خيبر وغيرها من قراهم المتناثرة على طريق الشـام، وصـار قادرًا على أن يبعث بسراياه إلى أنحاء قاصية كنجد واليمن والبلقاء، واستطاع بعد سنتين أن يغزو مكة ويفتحها وكان في ذلك النهاية الحاسمة، فجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً[١].

خاتمة

في الختام نحمد الله عز وجل ونثني عليه الخير كله أن وفقنا لإنجاز هذا البحث وإتمامه. ومن خلال ما تقدم ذكره عن صفات القائد الناجح من خلال سورة الفتح يمكننا الوقوف على أهم النتائج التالية:

١- أن سورة الفتح أبرزت عددا من الصفات القيادية التي يجب على القائد أن يتحلى بها.

٢- أن صـفات القائد الناجح برزت في سـورة الفتح من خلال المواقف التي جسَّـدها النبيّ محمد (ﷺ).

١- يحتاج موضـوع الصـفات القيادية إلى مزيد بحث من المختصـين في الدراسـات القرآنية والدينية لإبراز كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من الصفات.

وختاما . . لله الحمد من قبل ومن بعد. نســأله عز وجل أن يغفر لنا الخطأ والزلل ويتقبل منا إنه هو السميع العليم.

يا ناظر الخطِّ فاستغفرْ لمن كتبا فقد كَفَتْك يداهُ النَّسخ والتَّعبا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**. ص ٣٣١٧، بتصرف.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم. (١٩١٦م). أسد الغابة في معرفة الصحابة، اديان: جمعية المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٣٩٩هـ). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤٢٢هـ). سلسلة الأحاديث الصحيحة. مصر: مكتبة المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٦٥). فقه السيرة للغزالي بتخريج الألباني. بيروت: دار الشروق.

الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت). دفاع عن الحديث النبوي والسيرة. دمشق: مكتبة الخافقين.

البخاري، محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم. (١٤٠٣هـ). الجامع الصحيح. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: المطبعة السلفية.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. (١٤٠٥هـ). دلائل النبوة. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة. الجامع الصحيح (سنن الترمذي). تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت: دار الكتب العلمية.

جمعة، أمين عبد العزيز. (١٤١٥هـ). التغيير على منهاج النبوة. الإسكندرية: دار الدعوة.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (د.ت). المستدرك على الصحيحين. إشراف: يوسف المرعشي. بيروت: دار المعرفة.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي. (١٣٩٣هـ). الثقات. الهند – حيدر آباد، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية.

خطاب، محمود شيت. (١٩٦٠م). الرسول القائد. بغداد: دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (١٩٧٢). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. (د.ت). سنن أبي داود. القاهرة: دار الحديث.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (١٤٠٢هـ). سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة/ ط٣.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). تذكرة الحفاظ وذيوله. دراسة وتحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركلي، خير الدين. (٢٠٠٢م). الأعلام قاموس تراجم. بيروت: دار العلم للملايين.

السقاف، علوي بن عبدالقادر. (١٤١٢هـ). تخريج أحاديث في ظلال القرآن. طرابلس ليبيا: دار الهجرة للنشر والتوزيع.

السويدان، طارق، وفيصل عمر باشراحيل. (١٤٢٤هـ). صناعة القائد. الرياض: مكتبة جرير، العبيكان، الأندلس الخضراء، وتهامة، ومجموعة الإبداع، ودار ابن حزم.

الشاش، هداية الله أحمد. (١٤٢٧هـ). تنمية وتفعيل الشخصية القيادية في السنة والسيرة النبوية. بحث مقدم ضمن بحوث مؤتمر السنة والدراسات المعاصرة، بكلية الشريعة، جامعة اليرموك.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. القاهرة: هجر للنشر والتوزيع.

الطويرقي، نوال سعد مساعد. (١٤٢٢هـ). العلاقات الإنسانية في السيرة النبوية وتطبيقاتها في الإدارة المدرسية. الرياض: دار الأندلس الخضراء.

العساف، أحمد بن عبد المحسن. (د.ت). مهارات القيادة وصفات القائد. (كتاب إلكتروني).

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر. (١٨٥٣م). الإصابة في تمييز الصحابة. الهند كلكتا.

قطب، سيد. (١٤٢٣هـ). في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق، ط٣٢.

ابن كثير، أبو الفداء محمد. (١٤١٢هـ). تفسير القرآن العظيم. الجيزة: مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث.

محفوظ، محمد جمال. "سنة الرسول في القيادة وإدارة الحرب". قطر: مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، (ع٣).

المدري، أمين بن محمد. (٢٠١٠م). ثلاثون وصية ووصية لتكون قائدا ناجحا. (كتاب إلكتروني).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (١٤٢١هـ). السنن الكبرى. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (١٤١٩هـ). صحيح مسلم. الأردن: بيت الأفكار الدولية.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. (١٤٠٧هـ). السيرة النبوية. القاهرة: دار الريان للتراث، ط٢.